



جامعة ابن توفيل
UNIVERSITÉ IBN TOFAÏL



D é p a r t e m e n t
d'Arts et Médias
شعبة الفنون والوسائط

مادة المسرح في المشرق العربي

ذة.تكماس المنصوري

محاوّر الدرس:

الفرضية الثانية: المسرح العربي ولید لقاء بالغرب
(تابع)

✓ بعد مارون النقاش ستتناسل التجارب تباعا
من الشام إلى مصر ومنها إلى بقية بلدان
المغرب العربي.

أبو خليل القباني (1839-1903)

”تكمن أهميته في كونه انتبه إلى الشق
الإخراجي / الدرامي من المسرحية، في الوقت
الذي ركز فيه النقاش على العناية بالنصوص.
فضلا عن كونه مؤسس المسرح الغنائي في
العالم العربي“

أبو خليل القباني (سوري عشق المسرح، ونقله إلى مصر)

امتاز بمجموعة من الخصائص جعلته
أحد المؤسسين الكبار لنشأة المسرح في
المشرق العربي:

➤ ومن أهمها أنه مزج بين الغناء
والموسيقى والموشحات والرقص وبين
المسرح.

➤ مثل وأخرج أكثر من 60 مسرحية،
لم يحفظ الأرشيف إلا ثماني مسرحيات
أهمها:

➤ رواية هارون الرشيد مع الأمير غانم
بن أيوب وقوت القلوب.

- عندما يذكر أبو خليل القباني يذكر معه مباشرة نوع درامي
هام انتشر كثيرا في مرحلة تأسيس المسرح في العالم
العربي: إنه المسرح الغنائي.
- ولعل أهم أسباب ذلك أنه كان يحترف الغناء وكان مولعا
بالموشحات والسماع والمديح وكل ما له علاقة بالموسيقى
والغناء والرقص والإنشاد.
- وإذا كان مارون النقاش قد اعتنى بالجانب اللغوي /
الشعري في مسرحياته حتى جاز لنا أن نقول إنه مؤسس
المسرح الشعري، فإن أبا خليل القباني كان مؤسس
المسرح الغنائي في العالم العربي.
- وقد يسأل سائل لماذا هذا الاختيار؟
- يجيبنا عبد الواحد بن ياسر قائلا: "إنه كان يحاول تغطية
ضعف البناء الدرامي بالموسيقى والإنشاد والرقص،
فكانت نتيجة ذلك أن نشأت البراعم الأولى لفن الأوبريت
في العالم العربي. ثم إن لجوءه إلى المسرح الغنائي يرجع
بالدرجة الأولى إلى تكوينه الأصلي ومعرفة بالموسيقى
ونظم الأزجال. ويمكن اعتبار كل ذلك من نتائج تمثله
الخاص لفن المسرح الذي يلائم في نظره البيئة الحضارية
والتقافية العربية" (عبد الواحد بن ياسر / المأساة والرؤية المأساوية
في المسرح العربي الحديث، مرجع سابق، ص: 101)

المسرح الغنائي عند أبي خليل القباني

- من خلال الكلام السابق يمكننا استنباط مجموعة من الملاحظات:
- أهمها اختلاف رواد المسرح العربي في فهمهم للمسرح، نظرا لأن كل واحد منهم ينطلق من مرجعياته ومن فهمه الخاص للعملية الدرامية.
- ونتج عن ذلك أن استند النقاش إلى خلفياته المعرفية فركز على المسرح الشعري، واستند القباني إلى خلفياته الموسيقية فأبرز لنا المسرح الغنائي، وهناك أشكال أخرى رسم ملامحها أصحابها، كالمسرح التراجيدي مع جورج أبيض، والكوميديا الاجتماعية النقدية ذات النفس الإصلاحي مع نجيب الريحاني...
- نقصد أنهم ابتدعوها ورسخوها في الثقافة (النسق) العربية، وإلا فإن المسرح التراجيدي والكوميدي كان معروفا منذ اليونان.
- نستنتج كذلك أن أبا خليل القباني قد أعاد الاعتبار إلى جانب العرض/ التمثيل، والذي أغفله من سبقوه عندما كانوا يركزون على بناء نصوص أدبية من صميم الثقافة العربية أو من خلال الاقتباسات أو الترجمات.
- لقد اهتم الرجل بعناصر تقنية هي من صميم العملية الركحية من قبيل الأداء الغنائي والرقص والإيقاع والحركات.
- وبغض النظر عن مسألة الضعف والقوة التي أشار إليها عبد الواحد بن ياسر آنفا، يهمننا أن نفهم أن رواد المسرح الأوائل كانوا على وعي تام بأن العملية الدرامية لا تستقيم بالتركيز على جانب دون آخر، ولذلك هو فن وليس جنسا أدبيا، لأنه يمزج بين الأداء والتأليف.
- وهاهنا مسألة أخرى: لسنا ننسى أن من أهم أسباب تأخر ظهور المسرح في الثقافة العربية هو الموقف من الفن. لقد أبان القباني عن فسات مكنة في المسرح من خلال التركيز على الإنشاد والسماع ونظم الأزجال، وقد انخرط في توجهه ذاك سلامة حجازي وسيد درويش، وهما من أهم المؤيدين والمنشدين في بدايات المسرح العربي.

- من المهم كذلك أن نفهم أن هذا الاختيار قد لاقى نجاحا كبيرا من لدن الجمهور، وتعزز ذلك بأن قام الوالي مدحت باشا بدعم إنتاج أول أوبريت عربية من إنتاج القباني بمعية إسكندر فرح ويتعلق الأمر "بأوبرا عايدة".
- يبدو أن اقتحام عوالم المسرح بالنسبة للرواد الأوائل كان يتطلب إمكانات متنوعة: مادية/ معرفية (النقاش) – حرفية تطبيقية: الرقص والغناء والتلحين... (القباني)، سياسية/ إيديولوجية (جورج أبيض).
- يبدو كذلك أن القباني كان على دراية كبيرة بنفسية وسيكولوجية الجمهور العربي الذي لم يكن مستعدا بعد لتقبل المأساة والتراجيديا ، بل هو أميل إلى الكوميديا والغناء والأوبرا، ومن هنا نفهم استمرار هذا النوع ردحا طويلا من الزمن.
- جدير بالذكر أن نلفت الانتباه إلى أن القباني لاقى معارضة شديدة (دينية/ سياسية) خاصة من قبل السلطان مما دفعه إلى الهجرة إلى مصر ، وهنا نفهم كيف انتقلت شرارة وجذوة المسرح من الشام إلى مصر.
- عاب عليه الكثير من النقاد تركيزه على الغناء، ورأى محمود تيمور أن القباني كان يخفي ضعف الحبكة في مسرحياته بالغناء والموسيقى، وأن شخصياته غير متماسكة وغير متنامية مثلما هو الشأن عند النقاش، كما أن معظم أعماله تستند إلى التراث والحكايات الشعبية دون أي تغيير إذ كان يعتمد إلى الحفاظ على الحكايات الأصلية في ألف ليلة وليلة مثلا دون أي تجديد.

رواد المسرح الأوائل على خطى النقاش وأبي خليل القباني

- حاول كل واحد منهم أن يجعل لتوجهه سمة خاصة إما بالتركيز على الكوميديا أو باكتناه عوالم المأساة، أو بمحاولة اجترار مسرح غنائي شعبي، أو المسرح الشعري..
- كما جربوا الإقبال على عملية الإخراج والصناعة الدرامية، مثلما أنهم انكبوا على إنتاج نصوص من صميم الثقافة العربية، بالعودة إلى التراث الشعبي، أو المقامات أو غيرها..
- لم يكن لهؤلاء أن يواصلوا لولا دعم السلطة ومؤسسة الدولة والتي تمثلت في مصر مثلاً بالدعم الكبير الذي قدمه محمد علي، مما أسهم في إنعاش الحركة الفكرية والمسرحية على وجه خاص في المشرق العربي، والتي بلغ أثرها إلى المغرب العربي خاصة من خلال الأعمال التي قدمها جورج أبيض ويوسف وهبي في تونس وغيرها.

من أهم الرواد الذين ساروا على نهج مارون النقاش وأبي خليل القباني في محاولة استنبات المسرح داخل الثقافة العربية نجد: جورج أبيض، ويعقوب صنوع، وسليمان القرداحي، إسكندر فرح، نجيب الريحاني، يوسف وهبي، فرح أنطوان، سليم النقاش، سيد درويش، سلامة حجازي...

جورج أبيض (1880-1959)

”تكمّن أهميته في كونه حاول إيجاد فن
صحيح مبني على دراسة الأصول، ومتصل
بتراث المسرح الأوروبي“

جورج أبيض والمسرح التراجيدي

- قبل أن نخوض في عوامل نجاح تجربة "جورج أبيض"، يجب أن نعلم أنه واحد من أولئك المفكرين الذين يمتلكون وعيا شقيا. ومعناه أنه خبر ثنايا الجمهور الذي هو مقبل عليه وتناقضاته، كما أنه تمثل المسرح الغربي جيدا، لأنه أخذ عن أصوله في فرنسا، وكان متأثرا بشدة بالمثل الفرنسي Sylvain.
- وهو فوق ذلك خبر الفروق النوعية في المسرح وعرف أن العرب في حاجة إلى الاستئناس بالفن النبيل/ التراجيديا على وجه خاص، لكنهم يقبلون على الكوميديا والمسرح الغنائي، وهو أمر غاية في الصعوبة، لأنه مطالب بتهذيب ذوق الشعب، والدفع به إلى الرقي إلى مستوى التراجيديا.
- ناهيك عن كونه يعلم أن المسرح له رسالة، وهو له عميق التأثير في الشعوب، وعليه فهو يريد أب يمرر خطابه إلى الجمهور ولكن دون الاصطدام مع السلطة وقبضة الخديوي.
- ولكي يضمن لنفسه كل ذلك عليه أن يلائم بين طموحاته، وبين غايات السلطة وبين واقع الشعب العربي، وهذا لعمرى عين ما اصطالحنا عليه بـ: الوعي الشقي.

قال عنه عبد الواحد بن ياسر:

” تجربة جورج أبيض أول خطوة حقيقية نحو إيجاد فن صحيح، مبني على دراسة الأصول، ومتصل بتراث المسرح الأوروبي العتيق،[..]وفضله يكمن في أنه أيقظ وعي الجمهور العربي في بلاد مختلفة بوجود المسرح الكلاسيكي، كما يرجع إليه فضل القيام بتربية زملائه وتلاميذه وتحسيسهم بقيم فنية جديدة.“ص:112.

- قدم أعمالا كثيرة (مترجمة ومقتبسة بالعربية والفرنسية) بمعية فرقته التي كونها من أعضاء من فرق سابقة لسليمان القرداحي، وسلامة حجازي، أهمها مسرحية: ”عطيل“، ”أوديب“، و”جريح بيروت“...

- كان يطمح إلى تأسيس نواة عربية للمسرح التراجيدي لأنه يؤمن بأهميته في تهذيب الذوق، وفي التعرف على المسرح في أصوله الأولى.

- صادف معارضة شديدة من الجمهور الذي ألف النوع الغنائي والشعري، فلم يكن له إلا الإذعان لرغبة الجماهير العربية حتى حين.

- نفهم من هذا الكلام أن الجمهور معامل هام في معادلة المسرح، وله سطوته وسلطته الكبيرة.

- عدل عن المسرحيات التراجيدية فقدم أنواعا مختلفة كالميلودراما، والكوميديا والمسرحيات التاريخية، والمسرح الغنائي، والشعري..

خلاصات عامة

”سمة الرواد الأوائل من المسرحيين العرب، هو أنهم حاولوا تأثيث الذوق العربي وتهذيبه، وجعله يتعرف على أغلب الأنواع الدرامية “

للرواد الأوائل فضل التأسيس وللذين بعدهم فضل التطوير

- تعتبر المحاولات الأولى لأغلب المسرحيين الأوائل منذ مارون النقاش تجارب أصيلة في معاناتها، لأنها اصطدمت بوقائع وأحداث مختلفة، فهناك من جهة الجانب السياسي للسلطة التي ترفض أي تدخل في شؤونها ولو من باب النصح والإصلاح، ناهيك عن زرع أفكار ثورية أو تغييرية.
- ومن جهة أخرى هناك تربة عربية مختلفة تماما بتاريخها وبنيتها وعقيدتها ومعتقداتها الإثنية والأنثروبولوجية عن الثقافة الغربية منذ اليونان إلى ما وصلت إليه أوروبا ق19.
- المسرح إبدال فني جديد جاء ليزاحم الشعر والقصة والرواية في عصر النهضة، عصر الصدمة العربية وهذا له ما له من إشكالات فكرية جعلت النسق العربي ينقسم إلى شق كلاسيكي وشق تجديدي رومانسي.
- ورغم جدة التجربة وقصرها إلا أن أصحابها حاولوا تعريف الجمهور العربي على أغلب الأنواع الدرامية الموجودة بدءا من الكوميديا والتراجيديا ووصولاً إلى فهم ذائقة الخاصة والتي كانت تميل إلى كل ما هو شعري وغنائي.
- كل هذا جعل المجتمع العربي في عصر النهضة يتعرف في فترة قصيرة على تاريخ طويل من المسرح الغربي.

- برز نجم العديد من المسرحيين الأوائل فكان لهم قصب السبق في عناصر كثيرة نجملها فيما يلي:
- أنهم أسسوا مسرحا عربيا قائم الذات يبتعد قطعاً عن الأشكال الفرجوية أو الطقوس الاحتفالية ويقطع مع إشكال التأصيل الذي خاض فيه النقاد. (وسبق أن ناقشنا هذا الفصل في الحصص الأولى)
- ساهم عامل الاتصال بالغرب من خلال البعثات وهجرة المفكرين في تعرف العرب مبكراً على المسرح في أصوله ومناقبه، وكان للبنان فضل السبق، لأن الجو كان مهياً بينما حالت نزاعات السلطة العثمانية دون ظهوره في سوريا.
- استقبل الجمهور العربي المسرح لكنه لم يكن مستعداً لاستقبال كافة الأنواع الدرامية ولذلك انتعش المسرح الغنائي والشعري والكوميديا وتأخرت التراجيديا.
- أغلب الرواد الأوائل كانوا يجمعون بين التمثيل و التأليف والإخراج، كما كان بعضهم عالماً بفنون إضافية كالموسيقى والغناء والتلحين والرقص.
- استغل هؤلاء الرواد عناصر الفنون الأخرى للتغطية على ضعف النصوص الأدبية أو لإكمال حبكة نصوصهم ولإرضاء رغبة الجمهور.
- اشتغلوا على الترجمة والتأليف والاقتباس وكلها عناصر ساهمت في التنويع من المتن الدرامي المسرحي. لكن مولير كان ضالّتهم أجمعين، وأضافوا إليه مسحة مغناة وتلك سمة أغلب المسرحيات الأولى.
- تنوعت موضوعات المسرحيات فكانت تمتح من التراث مثلما عادت إلى التاريخ العربي وبطولاته، وحاولت تصوير الأساطير لكن مع التعديل بما يناسب واقع الجمهور العربي، فكانت غايتها الإمتاع والوعظ والإرشاد
- ويخلص خليل موسى إلى القول: "إن هذه المسرحيات اتصفت أخيراً بكثير من العيوب الفنية، في بناء الشخصيات والحوار واللغة، وسوى ذلك، ومع ذلك، ومع هذا فإنها تظل مؤشراً حقيقياً على المعاناة التي كان يعانيها هؤلاء الرواد لإيجاد مسرح عربي" ص:23.

لِقَاؤُنَا يَتَجَدَّدُ فِي الدَّرْسِ الْمَوَالِي.

